كتاب الوافي

تأليف

المحدث الفاضل الخبير العارف

أبي الحسن محمد محسن الفيض الكاشاني

المتوفى سنة ١٠٩١ هـ

١

كتاب العقل والعلم والتوحيد

-٥٠-
باب البداء

٤٠٣ - ١ (**الكافي** - ١:١٤٦) محمد، عن ابن عيسى، عن الحجّال، عن ثعلبة،عن زرارة،عن احدهما (عليهما السلام) قال: «ماعبد الله بشيء مثل البداء».

٤٠٤ - ٢ (**الكافي** - ١:١٤٦) وفي رواية ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم،عن أبي عبدالله (عليه السلام) «ماعُظّم الله بمثل البداء».

بيان:

بدا له في هذا الأمر بدآء ممدوداً أي نشأ له فيه أمر وإنّما لم يعبد الله ولم يعظّم بشيء مثل البداء لأنّ مدار استجابة الدعاء والرغبة إليه سبحانه والرهبة منه وتفويض الأمور إليه والتعلّق بين الخوف والرجا وأمثال ذلك من أركان العبودية عليه فان قيل كيف يصحّ نسبة البداء الى الله تعالى مع احاطة علمه بكل شيء أزلاً وأبداً على ماهو عليه في نفس الأمر وتقدسه عمّا يوجب التغير والسنوح ونحوهما؟ فاعلم أنّ القوى المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ماسيقع من الأمور دفعة واحدة لعدم تناهي تلك الأمور بل إنّما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً وجملة فجملة مع أسبابها وعللها على

نهج مستمر ونظام مستقر.

فان مايحدث في عالم الكون والفساد إنّما هو من لوازم حركات الأفلاك المسخرة لله ونتائج بركاتها فهي تعلم أنه كلّما كان كذا كان كذا [١] فهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر مافي هذا العالم حكمت بوقوعه فيه فينتقش فيها ذلك الحكم وربما تأخر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف مايوجبه بقية الأسباب لولاذلك السبب ولم يحصل لها العلم بذلك بعد لعدم اطلاعها على سبب ذلك السبب، ثمّ لماجاء أوانه واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول فيُمْحا عنها نقش الحكم السابق و يُثبَت الحكم الآخر، مثلاً لمّاحصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا في ليلة كذا لأسباب تقتضى ذلك ولم يحصل لها العلم بتصدقه الذي سيأتي به قبيل ذلك الوقت لعدم اطلاعها على أسباب التصدق بعد ثم علمت به وكان موته بتلك الأسباب مشروطاً بأن لايتصدق فتحكم أولاً بالموت وثانياً بالبرء واذا كانت الأسباب لوقوع أمر ولاوقوعه متكافئة ولم يحصل لها العلم برجحان أحدهما بعد لعدم مجيء أوان سبب ذلك الرجحان بعد كان لها التردد في وقوع ذلك الأمر ولاوقوعه فينتقش فيها الوقوع تارة واللاوقوع أخرى فهذا هو السبب في البدا [٢] والمحو والأثبات والتردد وأمثال ذلك في

١. ضعف هذا الكلام غير خفيّ على أهل العلم والصحيح في المقام ماسنذكره عن شيخنا الصدوق طاب ثراه قريباً ولانحتاج إلى هذه التكلّفات أصلاً. «ض.ع».

٢. اختلف العلماء في البدا اختلافاً شديداً، فمنهم من أنكر كون البدا من مذهب الإمامية كما عن المحقّق الطوسي في «نقد المحصل» ومنهم من يقول: البدا هو من مذهبنا كما عن العلامة المجلسي (رحمه الله) ومنهم من قال: البدا من النسخ وغير ذلك من الأقوال ولكن ليس اختلافهم إلّا في اللفظ فقط، لأنّهم اتّفقوا على بطلان البدا بمعنى التغيير في حكمه تعالى وظهور أمر بعد أن لم يكن وقالوا بأن البدا نعت لمن يتقلّب والله تعالى منزّه عن التقلّب والتغيير ولذلك قالوا جميعاً ماورد في هذه الكلمة في الأخبار كما قالوا في اطلاق الرضا والغضب والأسف والنسيان على الله تعالى نحو:

«نسيناكم» [١] و«غضب الله عليه» [٢] و«رضي الله عنهم» [٣] و«فلما أسفونا انتقمنا» [٤] وقال الشعراني (رحمه الله) بعد تحقيق طويل له: فليس مفاد البدا الوارد في الأخبار إلّا ماأطبق عليه المسلمون بل سائر الملل والأديان انّ للدعاء والصدقة والتوجه إلى الله تعالى والتضرع والإلحاح تأثيراً في دفع الشرّ واستجلاب الخير وليس شيئاً يختصّ بمذهب الشيعة و يؤكده قول الصادق (عليه السلام) «مابعث الله نبيّاً قطّ حتى يقول بالبدا» ومعناه أنه لولا الدعاء كان ينزل البلاء إلى أن قال:

١. السجدة/١٤

٢. النساء/٩٣

٣. المائدة/١١٩ ـ و ـ التوبة/١٠٠ ـ و ـ المجادلة/٢٢ ـ و ـ البينة/٨

٤. الزخرف/٥٥

أمور العالم وامّا نسبة ذلك كلّه الى الله تعالى فلأن كلّ مايجري في العالم الملكوتي إنّما يجري بارادة الله تعالى بل فعلهم بعينه فعل الله سبحانه حيث أنهم لايعصون الله ماأمرهم و يفعلون مايؤمرون اذ [١] لاداعي لهم على الفعل إلّا إرادة الله جلّ وعزّ لإستهلاك إرادتهم في إرادته تعالى ومثلهم كمثل الحواس للانسان كلّما همّ بأمر محسوس امتثلت الحاسة لما همّ به وارادته دفعة فكلّ كتابة تكون في هذه الألواح والصحف فهو أيضاً مكتوب الله عزّ وجلّ بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأوّل فيصحّ أن يوصف الله عزّ وجلّ [٢] بأمثال ذلك بهذا الاعتبار وان كان مثل هذه الأمور يشعر بالتغير والتّنوح وهو سبحانه منزّه عنه فأن كلّ ماوجد أو سيوجد فهو غير خارج عن عالم ربوبيّته نظير ذلك مامضى في الحديث في باب تأويل مايوهم التشبيه من أنّ

إنه لابدّ من تأويل لفظ البدا فأحسن التأويلات ماذكره الصدوق (عليه الرحمة) في كتاب «التوحيد» ثم ذكر شطراً من كلماته وأشار الى كلمات جمع لايسعنا ذكرها في المقام وحيث انّ كلمات شيخنا الصدوق طاب ثراه يغنينا عن كلماتهم أوردناها بعين ألفاظها فهو قال:

ليس البدا كما يظنّه جهال الناس بأنّه بدا ندامة «تعالى الله عن ذلك» ولكن يجب علينا أن نقرّ لله عزّ وجلّ بأن له البدا معناه أن له ان يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ثمّ يعدم ذلك الشيء و يبدأ بخلق غيره أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل مانهى عنه وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها ولايأمر الله عزّ وجلّ عباده بأمر في وقت ما إلّا وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك و يعلم أن في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ماأمرهم به فاذا كان ذلك الوقت أمرهم بمايصلحهم.

فمن أقرّ الله عزّ وجلّ بأن له أن يفعل مايشاء و يعدم مايشاء ويخلق مكانه مايشاء و يقدم مايشاء و يؤخر مايشاء و يأمر بماشاء كيف شاء فقد أقرّ بالبدا وماعظم الله عزّ وجلّ بشيء أفضل من الاقرار بأن له الخلق والأمر والتقديم والتأخير واثبات مالم يكن ونحو ماقد كان والبدا هو ردّ على اليهود لأنّهم قالوا انّ الله قد فرغ من الأمر فقلنا انّ الله كلّ يوم في شأن، يحي ويميت و يرزق و يفعل مايشاء. والبدا ليس من ندامة وانّما هو من ظهور أمر تقول بدا لي شخص في طريقي أي ظهر قال الله عزّ وجلّ **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** [٣] أي ظهر لهم ومتى ظهر الله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره ومتى ظهر له من عبد إتيان الزنا نقص من رزقه وعمره ومتى ظهر له منه التعفّف عن الزنا زاد في رزقه وعمره ومن ذلك قول الصادق (عليه السلام) «مابدا لله بداء كما بدا له في اسماعيل ابني» يقول ماظهر لله أمر كما ظهر له في اسماعيل إبني اذا اخترمه قبلي ليعلم بذلك انه ليس بامام بعدي وقد روى لي من طريق أبي الحسين الأسدي (رضي الله عنه) في ذلك شيء غريب وهو انه روى عن الصادق (عليه السلام) قال مابدا لله بدا كما بدا له في اسماعيل أبي إذا أمر أباه ابراهيم بذبحه ثم فداه بذبح عظيم وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر إلّا أنّي أوردته لمعنى لفظ البدا والله الموفق للصواب انتهى كلامه أعلى الله مقامه. «ض.ع».

١. اشارة الى سورة التحريم/٦

٢. عزّ وجلّ نفسه بأمثال، ق.

٣. الزمر/٤٧

نسبة الأسف والمظلومية ونحوهما إلى نفسه تعالى إنّما هو باعتبار خلطه بعض عباده بنفسه ولله الحمد على مافهمنا من غوامض علمه.

٤٠٥ - ٣ (الكافي - ١:١٤٦) الثلاثة، عن هشام بن سالم وحفص بن البختري وغيرهما، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: في هذه الآية: يَمْحُوا اللّهُ مايَشاءُ وَيُثْبِتُ [1] قال:

فقال: «وهل يمحي إلّا ما كان ثابتاً وهل يثبت إلّا مالم يكن؟».

بيان:

يعني أن في هذه الآية دلالة على ثبوت البداء لله سبحانه فلاوجه لإنكار المخالفين علينا بذلك وذلك لأنّ القول بالبداء لله تعالى من خواص مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

٤٠٦ - ٤ (الكافي - ١:١٤٧) الثلاثة، عن هشام بن سالم، عن محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «مابعث الله نبيّاً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار له بالعبودية وخلع الأنداد وأنّ الله يقدم مايشاء و يؤخّر مايشاء».

٤٠٧ - ٥ (الكافي - ٨:١٦٥)[2] سهل، عن الريان بن الصلت، عن يونس رفعه قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) «انّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا صاحب مرّة [3] سوداء صافية ومابعث الله نبيّاً قطّ حتى يقرّ له بالبداء».

١. الرعد/٣٩

٢. رقم ١٧٧.

٣. في مجمع البحرين: قوله تعالى ذومرّة فاستوى أي قوة في عقله ورأيه ومتانة في دينه وصحّة في جسمه... ثم قال: والمرّة خلط من اخلاط البدن.. وفيه لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا صاحب مرّة سوداء صافية.
وفي المرآة: قال: لعله كناية عن شدة غضبهم فيما يسخط الله وتسعرهم في ذات الله وحدّة ذهنهم وفهمهم، وتوصيفها بالصفاء لبيان خلوصها عمّايلزم تلك المرّة غالباً من الأخلاق الذميمة والخيالات الفاسدة. «ض.ع».

٤٠٨ ـ ٦ (**الكافي** ـ ١:١٤٨) العدّة، عن البرقي، عن بعض أصحابنا، عن محمدبن عمرو الكوفي أخي يحيى، عن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «ماتنبّأ نبيّ قطّ حتى يقرّ لله بخمس بالبداء والمشيّة والسجود والعبودية والطاعة» .

بيـــان:

يعني بـ«المشيّة» إنّ كلّ شيء يقع في هذا العالم فانّما يقع بمشيئة الله سبحانه .

٤٠٩ ـ ٧ (**الكافي** ـ ١:١٤٨) (**التهذيب** ـ ٩:١٠٢)[1] علي، عن أبيه، عن الريّان بن الصلت قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول «مابعث الله نبيّاً قط إلّا بتحريم الخمر وأن يقرّ لله بالبداء» .

بيـــان:

هذا الحديث نقله في التهذيب عن محمدبن يعقوب وزاد في آخره ـ وانّ الله يفعل مايشاء وأن يكون في تراثه الكندر .

٤١٠ ـ ٨ (**الكافي** ـ ١:١٤٨) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن مالك الجهني قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «لوعلم الناس مافي القول بالبداء من الأجر مافتروا عن الكلام فيه» .

بيـــان:

وذلك لأن أكثر مصالح العباد موقوف على القول بالبداء إذ لواعتقدوا أنّ كلّ ماقدر في الأزل فلابدّ من وقوعه حتماً لمادَعَوُا الله في شيء من مطالبهم وماتضرّعوا إليه

١. رقم ٤٤٦.

وماستكانوا لديه ولاخافوا منه ولارجوا إليه إلى غير ذلك من نظائره وأمّا عدم المنافاة بين الأمرين فلايفهمه من ألف ألف إلّا واحد وسرّه أنّ هذه الأمور من جملة الأسباب وقدقُدّر في الأزل أن يتحقّق بها لابدونها .

٤١١ - ٩ (الكافي - ١:١٤٧) محمد، عن أحمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير عن زرارة،عن حمران،عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ قَضىٰ اَجَلاً وَاَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ [١] قال «هما أجلان: أجل محتوم وأجل موقوف» .

٤١٢ - ١٠ (الكافي - ١:١٤٧) النيسابوريان، عن حمادبن عيسى، عن ربعي عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أباجعفر (عليه السلام) يقول: «العلم علمان: فعلم عند الله مخزون لم يُطّلع عليه أحداً من خلقه وعلم علّمه ملائكته ورسله فماعلّمه ملائكته ورسله فانّه سيكون لايكذب نفسه ولاملائكته ولارسله وعلم عنده مخزون يقدّم منه مايشاء و يؤخّر منه مايشاء و يثبت مايشاء» .

بيان:

وذلك لأن صور الكائنات كلّها منتقشة في أمّ الكتاب المسمّى بـ«اللوح المحفوظ» تارة وهو العالم العقلي والخلق الأوّل وفي كتاب «المحو والاثبات» أخرى وهو العالم النفسي والخلق الثاني وأكثر اطلاع الأنبياء والرسل (عليهم السلام) على الأوّل وهو محفوظ من المحو والإثبات وحكمه محتوم بخلاف الثاني فإنّه موقوف وفي الأوّل اثبات المحو في الثاني، واثبات الإثبات فيه ومحو الإثبات عند وقوع الحكم وانشاء أمر آخر فهو مقدّس عن المحو يحكم باختلاف الأمور وعواقبها مفصلة مسطّرة بتقدير العزيز العليم .

١ . الأنعام/٢

٤١٣ - ١١ (الكافي - ١:١٤٧) بهذا الأسناد، عن الفضيل قال: سمعت أباجعفر (عليه السلام) يقول: «من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدّم منها مايشاء و يؤخر منها مايشاء» .

٤١٤ - ١٢ (الكافي - ١:١٤٧) العدّة، عن ابن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن جعفر بن عثمان، عن سماعة، عن أبي بصير و وهيب بن حفص، عن أبي بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «انّ لله علمين: علم مكنون مخزون لايعلمه إلّا هو من ذلك يكون، البداء وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبيائه فنحن نعلمه» .

٤١٥ - ١٣ (الكافي - ١:٢٥٦) محمد، عن بنان، عن السراد، عن ابن رئاب، عن سدير الصيرفي قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أباجعفر (عليه السلام) عن قول الله تعالى: بَدِيعُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ [١] قال أبوجعفر (عليه السلام) «انّ الله تعالى ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله فابتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهن سماوات ولا أرضون أما تسمع لقوله تعالى وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمٰاءِ»[٢] فقال له حمران: أرأيت قوله تعالى عٰالِمِ الغَيْبِ فَلايُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً .[٣]

فقال أبوجعفر (عليه السلام)«إِلّا مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ [٤] وكان والله محمد ممّن ارتضاه وامّا قوله تعالى: عٰالِمِ الغَيْبِ فان الله تعالى عالم بماغاب عن خلقه فيما يقدر من شيء و يقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يفضيه الى الملائكة فذلك ياحمران؛ علم موقوف عنده إليه فيه المشية فيقضيه إذا أراد و يبدو له فيه فلايُمضيه فأمّا العلم الذي يقدره الله تعالى و يقضيه ويمضيه فهو العلم الذي

١ . البقرة/١١٧ - و - الأنعام/١٠١
٢ . هود/٧
٣ . الجنّ/٢٦
٤ . الجنّ/٢٧

انتهى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم إلينا.

٤١٦ - ١٤ (**الكافي** - ١:١٤٨) محمد، عن أحمد، عن الحسين، عن السراد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «مابدا لله في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يبدو له» .

بيـــان:

وذلك لأنّ البداء ليس منشأه من عنده بل ولا من عند الخلق الأوّل بل إنّما ينشأ في الخلق الثاني كما علمت.

٤١٧ - ١٥ (**الكافي** - ١:١٤٨) عنه، عن أحمد، عن ابن فضال، عن داود بن فرقد، عن عمرو بن عثمان الجهني، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إن الله لم يبدُ له من جهل» .

بيـــان:

وذلك لإحاطة علمه بما كان كما كان وبما سيكون كما سيكون أزلاً وأبداً وإنّما البداء ينشأ من الوسائط لمصالح ترجع الى الخلق .

٤١٨ - ١٦ (**الكافي** - ١:١٤٨) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: «لا، مَن قال هذا فأخزاه الله» قلت: أرأيت ما كان [أرأيت] [1] ما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: «بلى قبل أن يخلق الخلق» .

١ . كذا في نسخ الوافي امّا في الكافي المطبوع والكافيين المخطوطين والمرآة وشرح المولى خليل هكذا: أرأيت ما كان وما هو كائن.

٤١٩ ـ ١٧ (**الكافي** ـ ١:١٤٨) العدة، عن أحمد، عن جعفر بن محمد، عن يونس عن جهم بن أبي جهم [١] عمن حدثه عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «انّ الله جلّ وعزّ أخبر محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بما كان منذ كانت الدنيا وبمايكون إلى انقضاء الدنيا وأخبره بالمحتوم من ذلك واستثنى عليه فيما سواه» .

١. إلى جهمه ـ خ ل .